الدعوة للطاعة

العطاء بسخاء (كرم العطاء)

دعونا نبدأ بقصة من أروع وأقوي القصص في الكتاب المقدس عن البذخ والإفراط في العطاء.

"وَفِيمَا كَانَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ عَنْيَا .... تَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ مَعَهَا قَارُورَةُ طِيبٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ فَسَكَبَتْهُ عَلَى رَأْسِهِ وَهُوَ مُتَّكِئٌ. فَلَمَّا رَأَى تَلاَمِيذُهُ ذَلِكَ اغْتَاظُوا قَائِلِينَ:لِمَاذَا هَذَا الإِتْلاَفُ؟ لأَنَّهُ كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُبَاعَ هَذَا الطِّيبُ بِكَثِيرٍ وَيُعْطَى لِلْفُقَرَاءِ" (متى ٢٦: ٦-٩)

واحدة من الأشياء التي لا يتميز بها مسيحيون الزمن الحديث هي روح البذخ والإسراف إلا عندما يتعلق الأمر بالطبع بأنفسهم وذواتهم. عندما يشتري المؤمن العادي سيارة جديدة قد يُدلي بشهادته وإختباره قائلاً: لقد أعطاني الرب صفقة جيدة وقد قطعت من البائع مبلغ الـ ١٠٠٠ دولاراً. يا صديقي العزيز قد تبدو هذه الشهادة أو الإختبار جيد للإخوة ولكن يفتقر دائماً كونك كسبان وآخر فاقد أو خاسر لطابع الألوهية. ألم يكن ترك إنطباعاً مسيحياً على البائع أفضل لمنحه أفضل جزء من الصفقة؟ إنه أيضاً يحتاج للخبز لأولاده. يكافئ الرب السخَي. لأنه قال ... *وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ* **(متى ٧: ٢)**

لذلك فالبُخل تجاه الآخرين والإسراف (الإفراط) تجاه النفس أصبح إلي حد كبير جزءاً لا يتجزأ من الثقافة المسيحية لدرجة أنه في جهلنا لا ندرك ما قد فعلناه طوال هذه السنوات عندما كنا نعلن " لقد أكرمني الرب بصفقة جيدة" لقد عشنا وفقاً للطبيعة الجسدية تحت مبدأ:"مغبوط هو الأخذ أكثر من العطاء"بدلاً من مبدأ"مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ"(اع ٢٠:٣٥) إذا كنا نريد أن نكون ملحاً للأرض يجب أن ينعكس وينقلب هذا الإتجاه(المبدأ). هل فهمتني عزيزى؟ حبِ وقدَم وإعطي. ما هو الإنجيل الا لأنه هكذا أحب الله العالم حتي أعطى (بذل)... (يوحنا٣:١٦)

العطاء بإفراط هي السمة المنسية لله

عندما يصبح الشخص مسيحياً أو مؤمناً يتعرف حالاً علي أعظم وأبرز ثلاث صفات وسمات لله: كلِّيْ القدرة (القدير) كلِّيْ الوجود (الموجود والكائن في كل مكان) كلِّيْ العلم

والمعرفة (العليم). في الواقع هذه الصفات والسمات لها تأثيرها علينا ولكنها لا تلمس قلوبنا لأنها لا تصف طبيعة الله المُحب وحُب الله البازل دائماً بلا حدود (بإسراف) لذلك علي كل أولاد الرب الذين يسلكون معه أن يكون لهم العطاء الباذل تماماً مثل أبيهم.

لذلك لا نجد في قصة الخليقة عرضاً لقدرة الله الكاملة(الكلية) كلَّيْ الوجود والمعرفة (العليم) فقط ولكن أيضاً عرضاً رائعاً من العطاء بسخاء (إسراف) لقد خلق الكون مؤقتاً ومع ذلك ملأ الكون بصورته ومثاله وحبه الخير. من هذا نرى أن الله لا يفعل شيئاً بثمن بخس أو في منتصف الطريق أو بلا تفكير. كان يمكن لله أن يكون مقتصداً ويخلق فقط الشمس ولكن خلق أيضاً القمر والنجوم. العطاء بسخاء ووفرة! خلق الله الآلاف من الأنواع البحرية التي تعيش المجد الرائع الغير منظور من البشر. ثم تأمل في العديد من الأنواع الرائعة من الطيور. تنوُّع بين الطائر الطنَّان واللقلق والنسر. العطاء بسخاء ووفرة! تأمل في مجموعة متنوعة من المخلوقات البرية والنباتات والحشرات. تأمل في كثرة البحيرات والغابات والسهول والجبال. تأمل في الملذات التي نختبرها ونعيشها من خلال حواسنا: قدرة العين لتري وتخلق صور في الذهن. تأمل ألاف من الأصوات والإيقاعات ونحن قادرون على السمع والسرور باللسان الذي يمكن أن يتذوق. الله هو إله العطاء بسخاء.

لنترك الآن الطبيعة ولنتأمل بسخاء الله في أمر الفداء: خطته الرائعة في الكفارة. رحمته السخية و تسامحه العميق وغفرانه المتكرر. وتقديمه ما هو أثمن ما لديه (إبنه الوحيد على صليب الجلجثة) السخاء في العطاء! ليس أن يغفر الله لنا فقط لكنه يطهِّرنا أيضاً وليس فقط أنه يطهِّرنا لكنه يجددنا أيضاً. وليس فقط أنه يُجددنا لكنه يسكن (يقيم) فينا. ليس فقط أنه يُقيم ويسكن فينا ولكنه يتواصل معنا. ليس فقط أنه يتواصل معنا لكنه يقوينا ويُمكننا. لا يقتصرفقط بأنه يقوينا ويُمكننا لكنه يحفظنا. ليس فقط يحفظنا ولكن سيوقفنا غيرعاثرين (بلا لوم) في حضرته في المجد والإبتهاج (يهوذا ١:٢٤) الإسراف في العطاء (كرم العطاء)!!

لا يفعل الله فقط ما يجب أن يفعله ويقوم به لكنه يفعل أكثر تماماً فوق كل ما... نسأل أو نفتكر أو نتصور ... (أفسس ٣:٢٠) لم يعطينا الله مَلِك فقط ولكن مملكة. ليس فقط مكاناً في السماء ولكن شوارع من الذهب الخالص لنسيرعليها بعد وصولنا هناك. لقد خلق الملائكة ليس فقط لحمايتنا ولكن لخدمتنا. هنا نري السخاء في خلقه والسخاء في فدائه. كيف ننظر إلي الآخرين ونراوغ علي بضع دولارات أو نرفض العطاء للكنيسة إلا إذا حصلنا على الإئتمان الضريبي ونحن نتأمل سخاء الرب العظيم ناحيتنا؟

ليرحمنا الله!! حتى لا نهلك. ليتنا نكون امتداداً لسخاءه . لهذا السبب عَلَّم الرب

يسوع في موعظته علي الجبل : من يريدك أن تذهب ميل معه, إذهب معه إثنين.

الآن وبعد ذلك نري أن تلك الصفة عينها وهي السخاء في العطاء التي تتميز بها هذه الإمرأة التي في بيت عنيا قد أعجبت ربنا يسوع المسيح لدرجة أنه أراد أن تُرَوَي قصتها(حكايتها) كنصب تذكاري (تذكاراً لها) في كل العالم (متى ٢٦: ١٢-١٣) في جوهرها تتلخص في أنه كلما تذكَّرنا الرب في العشاء الرباني كلما تذكَّرنا هذه الإمرأة في عطائها السخي الوفير.

سخاء مريم في العطاء الوفير

دعونا نتأمل ثلاثة ردود على سلوك وتصرف مريم:

١. *قال الرب يسوع... «لِمَاذَا تُزْعِجُونَ الْمَرْأَةَ؟ فَإِنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَناً! (متى ٢٦:١٠)*

٢. *قال التلاميذ بسخط وغيظ ... لِمَاذَا هَذَا الإِتْلاَفُ؟ (ع ٨)*

٣. *سأل يهوذا الزعماء والقادة الدينيين: «مَاذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُعْطُونِي وَأَنَا أُسَلِّمُهُ (يسوع) إِلَيْكُمْ؟» .....(ع١٥)*

التأمل في هذه المواقف الثلاثة: الثناء(المدح) والحكم والخيانة. هذه المواقف الثلاثة المعروضة هنا كانت من قبل الناس المتدينين، وكلها موجودة في كنيسة اليوم.

سكبت الإمرأة طيب خالص غالي من النادرين على رأس الرب يسوع. لم يكن هناك أحداً مستعداً ويستحق هذا الكرم إلا الرب يسوع وليس لأحد أن يمتدحه و يُثنى عليها إلا الرب تبارك إسمه. ومع ذلك كان علي التلاميذ أن يعرفوا طالما إستحق إيليا آخِر وجبة من وجبات الأرملة (١ ملوك ١٧: ٧-١٥) فكم بالحرِّي ينبغي أن يكون الرب يسوع جديراً ومستحقاً لهذا العطاء المقدم له (قارورة الطيب) أه! تأمل قيمة العطاء: إستحقاق راتب عام كامل من العمل! ربما كان هذا هو ميراثها أو بوليصة تأمين على حياتها. مهما كانت قيمة هذا الطيب فقد ضاعت كل قيمته النقدية في لحظة من الزمن. مهما كانت الأحلام الواردة يجب التخلي عنها عند رؤية الرب يسوع. نعم علاقة الإمرأة الحميمة التي طلبتها وسعت إليها وشعرت بها مع الرب يسوع يسوع جعلتها أن تعطي ما هو الأفضل لها للرب. السخاء في العطاء.

سُرَّ الرب يسوع لأن هذا النوع من السخاء كان تماماً في شخصية الله. كما أن الله دائماً سخَيْ تجاهنا لذلك يجب أن نكون أسخياء ويجب أن يبدأ سخائنا بمن هم مقربون من الرب ويجب أيضاً بعد ذلك أن يصل حتى إلى أولئك البعدين منه. يعلن الكتاب المقدس "فَإِذاً حَسْبَمَا لَنَا فُرْصَةٌ فَلْنَعْمَلِ الْخَيْرَ لِلْجَمِيعِ، وَلاَ سِيَّمَا لأَهْلِ الإِيمَانِ" (غلاطية ٦:١٠) ولدينا أيضاً ... أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم (لوقا٦:٢٧)

شكك التلاميذ في وكالة الإمرأة. شكواهم كانت "أكثر من اللازم لفرد وقليل جداً للكثيرين" لأن هذا الطيب كان يمكن أن يُباع بكثير ويُعطَى للفقراء. نعم، هذه هي حسابات القلب الجسدي. لم يعرف التلاميذ قيمة الرب المُرسَل من الله بالرغم من أنهم كانوا مع الرب يسوع كل يوم! آه! يا له من إختلاف وفرق بين قلب الله وقلب الإنسان من دون الله.

كيف يفتخر العديد من مجالس الكنائس المحلية ببرامج الإرساليات طرفهم والمباني الفاخرة الكبيرة لديهم بينما يتجاهلون مَن هو أثمن من الكل في وسطهم وهذا ما جعل الرب يسوع ساخطاً (غاضباً) وقال : .... فَإِنَّهَا قَدْ عَمِلَتْ بِي عَمَلاً حَسَناً! لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ ..... (متى ٢٦: ١٠-١١) ما كان "نفايات وتلف" بالنسبة للتلاميذ كان إخلاص وأمانة للرب. ليس شراً أو خطية أن تسكب الطيب على أي رجل مُرسَل من الله.

آه! صديقي ليتنا نستبعد مفهوم التبلد والعقلانية والقياس والحساب والتحليل من حسابات الوكالة لله لدي لجان كنائس هذه الأيام. المسيح ليس له أي دور في ذلك وأنها تفتقر إلى المسحة لأنها ليست من كينونته. يا صديقي كم مرة لاحظت العظمة الروحية؟ عندما ترى أنك لا يمكنك إعطاء "أكثر من اللازم" ولا تُرضِي السيد. ولكن كن مستعداً لبعض الساخطين مثل يهوذا الذي خان الرب يسوع وتركه تماماً.

الإسراف في العطاء والبذل هو قلب الحب. إخراجه من زواجك ترحل معه الرومانسية. إخراجه من الكنيسة تتوقف المسحة. إخراج الحب من قلبك نحو الأعداء تجد نفسك تخالف ناموس الله. البذل في العطاء ؟ نعم! لا ينبغي أبداً أن يكون هناك مكان أو تَصرُّف (فعل) دون السخاء في العطاء. الله هو السخَيْ في العطاء وكذلك يجب أن يكون أولاده.